دراسة نصية

لمخطوط (الدرة المصانة فى أخبار الكنانة)

الدكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر كلية البنات الاسلامية
جامعة الأزهر

دراسات فى مصادر تاريخ مصر فى العصر العثمانى
دراسة نصية لمخطوط من القرن الثامن عشر

عنوان المخطوط كاملا : الدرة المصانة فى أخبار الكنانة

فى

أخبار ما وقع بمصر فى دولة المماليك من السناجق والكشاف والسبعة أوجاقات والدولة وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف[1] .

تأليف : الأمير أحمد الدمرداش كتخدا عزبان

التعريف بالمخطوط : مخطوط ضخم يقع فى جزءين اشتملا على خمسمائة وتسعة وثمانين صفحة ، وهو محفوظ بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم . . .[2]

ويتناول المؤلف فى هذا المخطوط تاريخ مصر العثمانية منذ عام ١٠٩٩هـ//١٦٨٨م حتى عام ١١٦٩هـ// ١٧٥٦ م وهو مصدر هام من مصادر التأريخ لنظام الحكم العثمانى فى مصر ، ويحوى معلومات على جانب كبير من الأهمية عن كل فروع الجهاز الإدارى فى مصر العثمانية ، يشمل ذلك الحديث عن الباشا والديوان العالى ، الفرق العسكرية ، ورجال القضاء ، ودور الأمراء المماليك فى حكم مصر وإدارتها ، ورجال الإدارة المالية ، إدارة الأقاليم ، وعلاقة مصر بالدولة العثمانية والمنازعات التى كانت تقع بين أمراء المماليك ، ومساعيهم للسيطرة على النفوذ والسلطة فى مصر ، وقبل أن نستطرد فى استعراض ما جاء بالمخطوط من معلومات هامة نلقى بعض الضوء على حياة المؤلف فمن هو الدمرداش كتخدا عزبان لقد أشير إليه فى الصفحة الأولى من المخطوط باسم الأمير أحمد الدمرداش كتخدا عزبان ، وواضح من ذلك أن الدمرداش كان يتولى منصب كتخدا أى وكيل أوجاق عزبان(٣) وهو منصب يلى منصب الأغا قائد الأوجاق وأهم شخصية فيه ، ومعلوماتنا عن شخصية الدمرداش قليلة ، فإن معاصريه لم يترجموا له ، ولم يذكره الجبرتى لا فى مصادره التاريخية ولا فى تراجمه ، وبجل معلوماتنا عن الدمرداش مستمدة من سطور مؤلفه(٤) .

وإن كان الدمرداش يبدو فيه ضنيناً بالمعلومات عن نفسه متواضعاً غاية التواضع ، لم يذكر الدمرداش سنة ميلاده ، وقد بدأ فى تدوين تاريخه منذ عام ١٠٩٩ هـ//١٦٨٨م ، كما قدمنا ، ووقف بأحداثه عند عام ١١٦٩هـ//١٧٥٦م وقد ذكر فى آخره العبارة التالية : « هذا وقد نهيت تاريخى على ذلك ، وإن أعطانى الله عمراً زدته بما أراه عياناً » ولما كان لا يوجد للدمرداش كتب بعد هذا التاريخ ، فربما يكون قد توفى بعد عام ١١٦٩هـ//١٧٥٦ م بقليل ، وينتمى الدمرداش إلى مدرسة الأجناد الذين اتخذوا من كتابة التاريخ هواية لهم(٥) .

وقد بدأ مؤلفه بقوله « سألنى بعض الإخوان عن وقايع مصر القاهرة بين

الصناجق والأغوات ، واختيارية السبعة أوجاقات من عزلان السلطان محمد طاب ثراه وتولية أخيه السلطان سليمان خان إلى دولة السلطان دام نصره سنة ١١٦٨ هـ وما وقع فى مدة الباشوات المرسولة إلى مصر فى طرف الدولة من سنة ١٠٩٩ هـ .

وواضح من ذلك أن الدمرداش كتب مؤلفه بدافع الهواية الشخصية وحب كتابة التاريخ بدافع من نفسه ، وليس بتكليف من أحد من المسئولين ، أو رغبة فى التقرب من كبير ، أو عظيم . وثقافة الدمرداش كما تبدو من سطور كتابه ثقافة محدودة لرجل من رجال الفرق العسكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، فهو يكتب بأسلوب تغلب عليه العامية .

وحين يقول شعراً ، يبدو شعره ضعيفاً فمثلا عند حديثه عن مرور موكب أمير الحج حسين بك بموكبه عام ١١٦٨ هـ // سنة ١٧٥٥ م[٦] يقول :

« وكنت أنا العبد الحقير فايت بين العالم ، يتفرج على الموكب ، وإذا به لما أتى قبالى كمش حفنه فضة بيضا ، وأرماها على روس الناس ، وإذا بهم دقلجونى مثل الكورة ، وداسونى بينهم ، وأخذوا منى العمامة من على راسى فقلت :

يوم تولِّيت حسين بك — أميرية الحاج الشريف
خطفوا عمامة راسى — طربوشى مع شاش لطيف

وتنبع أهمية الدمرداش من أنه عاش فى فترة هامة من فترات تاريخ مصر العثمانية فى القرن الثامن عشر ، الذى شهد مرحلة الصراع بين الأوجاقات العسكرية ، وانهيار نظام الحكم العثمانى ، وسيطرة البكوات والمماليك على النفوذ والسلطة فى مصر .

ويتميز مؤلف الدمرداش بالفهم العميق للأحداث التى يعرضها وذلك

راجع إلى معاصرته لها، بل واشتراكه في كثير من الأحيان فى تلك الأحداث كما ورد فى كثير من صفحات كتابه منها على سبيل المثال ما ذكره أثناء عرضه لفتنة « إفرنج أحمد[٧] » وهجوم المذكور على فرقة العزب قال :

« نزل بيرق[٨] العزب ، ونزل العبد الحقير معهم »[٩] وذلك أثناء الفتنة ، التى عاش الدمرداش أياماً قاسية خلالها ، فقد انقطع فى بعض الأيام وصول الزاد إلى فرق القلعة قال : « آخر الليل أتت جمال محملة بقسماط ، وبصل، وجبن، وكان عندى قاسم من نوباتجية الحسنة ، أعطيته الكعبين البقسماط يبلوهم فى القرب وكان قد قتلنى الشرد »(١٠) .

وكثيراً ما ذكر الدمرداش مشاهدته للأحداث التى كانت تقع فى الديوان العالى مثلما حدث عند مقتل « إسماعيل بك بن عوض » ، « وإسماعيل بك جرجا » أيضاً فى الديوان بدسيسة من « جركس محمد بك » .

قال : كنت واقف فى الديوان مثل غيرى من الناس ، وإذا بى قلت تاريخ :

بديوان قلعة الجبل	إسماعيلين نالوا العطب
جركس محمد فى عصره	لتاريخه قد غلب(١١)

وقد اتبع الدمرداش فى مؤلفه نظام التأريخ بالحوليات فيذكر هلت سنة كذا ثم يسوق أحداث تلك السنة متتالية وراء بعضها ، وقد بدأ الدمرداش تدوين تاريخه مبتدءاً بأحداث عام $\frac{١٠٩٩ هـ}{١٦٨٨ م}$(١٢) دون مقدمات لا عن فضل علم التأريخ ، ولا عن تاريخ مصر منذ الخليفة وهذا شىء ميزه عن بعض معاصريه من مؤرخى القرن الثامن عشر . واتفق فيه مع البعض الآخر .

معاصرو الدمرداش :

لقد ظهر فى مصر فى القرن الثامن عشر مجموعة من المؤرخين المختلفى الثقافة من العلماء ، ومن رجال الفرق العسكرية ، وكلهم معاصر للدمرداش ومنهم :

١ - إبراهيم الصوالحى الذى كتب « تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق »(١٣) .

٢ - يوسف الملوانى « ابن الوكيل » صاحب كتاب « تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب »(١٤) .

٣ - على الشاذلى : مؤلف « ذكر ما وقع بمصر المحروسة القاهرة »(١٥) .

٤ - أحمد شلبى عبد الغنى : الذى ألف « أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات »(١٦) .

٥ - مصطفى إبراهيم : مؤلف كتاب « تاريخ وقائع مصر القاهرة »(١٧).

٦ - مصطفى الصفوى الشافعى القلعاوى : مؤلف « صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان »(١٨) ، ويتميز الدمرداش عن هؤلاء جميعاً بأنه كان أكثر تفصيلا فيما دون من أحداث ، فقد ركز كتابته فى الفترة التى حددها لكتابه ، ولم يحاول وضع مقدمات تتناول تاريخ مصر فيما سبق من عصور ، ومن هنا جاء كتابه ضخما فى ٥٨٩ صفحة بالرغم من قصر المدة التى أرخ لها ، ويتميز كتاب الدمرداش بأنه حافل بالمصطلحات الإدارية والعسكرية والمالية (١٩) والاجتماعية والاقتصادية ، وهو يعتبر مقدمة لما كتبه المؤرخ العظيم عبد الرحمن الجبرتى الذى بدأ تأريخه كما بدأ الدمرداش من عام ١٠٩٩ هـ // ١٦٨٨ م بتولى حسن باشا السلحدار حاكم مصر . ويختلف كتاب الدمرداش

عن عجائب الآثار بخلوه من التراجم وبكونه أقل عناية بالأحداث التي كانت تقع خارج مصر في الولايات العربية الأخرى التابعة للدولة العثمانية، وهناك خلاف آخر هام بين الكتابين، فالدمرداش يسرد في كتابه الأحداث فقط دون أي تعليق لا يبدى إعجاباً ولا ذماً ولا مدحاً ولا نقداً، كما يفعل الجبرتي في كتابه، وبالرغم من اعتقادي أن الجبرتي قد نقل كثيراً من الأحداث التي وقعت من أول القرن الثاني عشر الهجري حتى عام ١١٦٩هـ//١٧٥٦م عن الدمرداش كما يتضح من مقارنة كتابة الرجلين عن تلك الفترة فمثلا ذكر الدمرداش في ح ١ ص ١٧ في أحداث عام ١١٠٤ هـ//١٦٩٢ بمناسبة «خروج إبراهيم بك أبو شنب» لكريد قائداً للحملة المصرية المكونة من ألفي جندي[٢٠] قال:

«لما خرج إبراهيم بك بالسدادرة ٢١)، وأصحاب الأدراك إلى بولاق، نزل في قصر الحلي، وشيخ الشحاتين في ركابه مع طايفته، وهم يصرخوا ويقولوا الله يردك علينا يا بك سالم، لأنك أبو الفقرا لأنه كان يعرفهم بالواحد، وإذا أعطى واحد منهم نصف فضة وجرى طلع الرميلة من المظفر ووقف قدامه يقول له قد أخذت نصيبك في الصليبية، وذكر الجبرتي نفس الحديث في ح ١ ص ١٠٥ في أحداث نفس العام في كتابه عجائب الآثار.

قال في ترجمته لنفس البك أنه سافر أميراً على العسكر المعين لفتح كريد سنة ١١٠٤هـ «ولما ركب بالموكب، خرج أمامه شيخ الشحاتين، وجملة من طوائفه، لأنه كان محسناً لهم ويعرفهم بالواحد، وكان إذا أعطى بعضهم نصفاً في جهة، ولاقاه في طريقه من جهة أخرى يقول له أخذت نصيبك في المحل الفلاني».

وموضوع منح على أغا مستحفظان «الانكشارية» سلطات استثنائية، لمواجهة أزمة العملة، وارتفاع الأسعار أوردها الجبرتي في ح ١ ص ١٠٣ من عجائبه كما وردت في كتاب الدمرداش(٢٢) مع التصرف في الأسلوب. وكذلك

الحال بالنسبة لموضوع «كجك محمد» مع التاجر الفيومى(٢٣) التى أوردها الجبرتى فى تاريخ ج ١ ص ٩١ وغير ذلك من الموضوعات التى لا يتسع المجال لحصرها مثل قصة فرحخنان أولاد الباشا التى ذكرها الجبرتى فى ح ١ ص ١٠٠ من تاريخه وغيرها كثير .

وبالرغم من وضوح عملية نقل الجبرتى لكثير من أحداثه فى مستهل القرن عن الدمرداش وبالرغم من أنه اتفق معه فى اختيار عام ١٠٩٩ هـ بداية لتاريخه، وبدأ أحداثه بموضوع انقسام ضد مصر إلى فقارية وقاسمية بنفس المفهوم الذى ورد فى الدمرداش ضمن المصادر التى رجع إليها عند كتابة تاريخه كما فعل مع «أحمد شلبى عبد الغنى» فقد ذكر الجبرتى أنه اعتمد على أحمد شلبى عبد الغنى فى الفترة السابقة للفتح العثمانى حتى سنة ١١٥٠هـ، ثم بعد ذلك اعتمد على رواية المسنين، ونقوش المقابر، ودفاتر الكتبة منذ عام ١١٥٠هـ حتى عام ١١٧٠هـ(٢٤)

فلماذا أغفل الجبرتى تاريخ الدمرداش مع أنه يغطى الفترة من عام $\frac{\text{١٠٩٩ هـ}}{\text{١٦٨٨ م}}$

إلى عام $\frac{\text{١١٦٩ هـ}}{\text{١٧٥٥ م}}$ وبالتفصيل الكافى لمن يريد كتابة تاريخ تلك الفترة وبالرغم من أن الجبرتى يذكر اطلاعه على ما كتبه رجال الفرق العسكرية بقوله حين شرع فى كتابة تاريخه «وأردت أن أوصله بشىء قبله ، فلم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ، ركيكة التركيب، مختلفة التهذيب والترتيب ، وقد اعتراها النقص فى مواضع من خلال بعض الوقائع»(٢٥) ، ولعل الجبرتى يكون قد استاء من كتابات الأجناد لأنها كتبت بلغة عامية ، وغير منظمة فاستنكف أن يعدها من مصادره بالرغم من اطلاعه عليها ، كما فعل بالنسبة لكتاب ابن الوكيل «تحفة الأحباب» الذى نقل عنه نقلا حرفياً فى مواضع كثيرة وبالرغم من ذلك تجاهله تجاهلا تاماً .

وعامة يتميز الدمرداش عن معاصريه من المؤرخين بما توفر له من خبرة

بشئون الإدارة المالية ، والفرق العسكرية ، فقد عمل كما ذكر فى سطور مؤلفه كتابع لمحمد افندى ابن الجيعان الوكيل الأول لحسن أفندى الروزنامجى سنة ١١٠٦ هـ//١٦٩٤م(٢٦) ، كما تولى منصب الكتخدائية فى فرقة العزبان ، وهى ثانى الفرق العسكرية فى الأهمية بعد الانكشارية ، وقد هيء له ذلك فهماً مستفيضاً للأحداث التى قدمها فى كتابه أو التى حرص على إثبات مشاهدته لها بنفسه كما بدا فى كثير من سطور ذلك الكتاب .

وقد تعددت وتنوعت الأحداث التى سجلها الدمرداش فى كتابه « الدرة المصانة » ، فقدم لنا صورة حية ونابضة للكثير من مظاهر الحياة فى مصر العثمانية من شئون الباشوية المصرية والديوان والحامية العسكرية والقضاء ، والإدار المالية ، وإدارة الأقاليم ، وموقف الشعب المصرى من الحكم العثمانى وذلك فى فترة تزيد قليلا عن نصف قرن من عام $\frac{\text{١٠٩٩ هـ}}{\text{١٦٨٨ م}}$ حتى عام ١١٦٩هـ// ١٧٦٧م ، ولا يتسع المجال هنا لعرض وتقديم صور لجميع ما صوره الدمرداش من أحداث ، ولذا سأكتفى بتقديم أمثلة لأهمها ، فعلى سبيل المثال :

صور الدمرداش بالتفصيل والدقة كل المعلومات المتعلقة بباشا مصر شخصيته ، والمناصب التى شغلها قبل توليه ولاية مصر ، تعيينه ، وكيفية إعلان هذا التعيين فى مصر عن طريق « المسلم » .

استقبال الباشا فى مصر ، وقد قدم الدمرداش وصفاً شائقاً وتفصيلياً لحفل استقبال الباشا بعد قدومه لولاية مصر ، وينفرد الدمرداش بهذا الوصف التفصيلى ، طوال الفترة التى دون أحداثها ، ونسوق هنا صورة حفل استقبال أحد باشاوات مصر كما أوردها الدمرداش .

وهى خاصة باستقبال حسن باشا السلحدار « $\frac{\text{١٠٩٩ هـ}}{\text{١٦٨٨ م}}$: $\frac{\text{١١٠١ هـ}}{\text{١٦٨٩ م}}$.

قال : « أتى ساعى ، وعرف أن حسن باشا طلع بندر اسكندرية نزلت له الملاقية ، كتخدا الجاويشية ، ومتفرقه باشا ، وباش جاويشية ، والملازمين ، وأتى له كاشف البحيرة بالخيول والجمال لاقوه ، سلموا عليه وأتوا به ثغر رشيد ، أقام الأيام المعلومة ونزلوه فى السفاين على وجه النيل المبارك ، لما وصلوا به تحت ناحية الوراق ، باتوا به ، وعند الصباح عدت له صناجق مصر ، وباقى الأغاوات ، وأحمد افندى الروزنامجى بوشناق ، لاقوه سلموا عليه ، وعدوا به إلى قصر الحلى ، نزل على السماط ، وخلع قفاطين القدوم ، وأخذ التقادم(٢٧) وعملوا له شنك صواريخ ومدافع وزار حضرة الإمام الشافعى ليلا ، وعاد بات فى العادلية .

وعند الصباح دخل فى موكب عظيم ، ذبحوا له القرابين على الأعتاب ، طلع قلعة الجبل ، نزل فى ديوان قايتباى ، وعملت له الانكشارية شنك مدافع من الأبراج ثم تحول داخل السرايا »(٢٨) وقد عرض الدمرداش بالتفصيل لاختصاصات الباشا ، وإيراداته ، وكل ما يتعلق بحياته فى مصر ، وعرض بالتفصيل لكيفية عزل الباشا من ولاية مصر على يد الأمراء المماليك(٢٩) قال بمناسبة عزل باكير باشا « ١١٤٢ هـ/١٧٢٩ م » اتفق رأى الأحرار على إنزال الباشا(٣٠) قاموا طلعوا الرميله وأرسلوا حضروا السناجق والأغاوات وقالوا له إن العسكر قامت على اختياريتها والاختيارية قامت على أغاواتها والأغاوات قامت على السناجق لم يرضوك حاكما عليهم ، وإذا به قال وأنا مالى برضا أكون حاكما على الضرب انظروا لى بيت أنزل فيه قالوا له قصر يوسف كتخدا فى العتبة وإذا نزل هناك ؛ وأرسلوا له إبراهيم بك بلغية عمله قايمقام وكتبوا فى الحضرة عرض محضر للدولة بنزول باكير باشا ، ترسلوا لنا باشا خلافه وأرسلوا العرض صحبة سبعة أنفار » (-) ومما عنى به الدمرداش من أخبار الباشوية المصرية عملية محاسبة الباشا المعزول فى الديوان عن مالية مصر وكيفية تصرفه فيها ، وكيف كان يعامل باحترام ، إذا ما كان منقولا من مصر لتولى

منصب آخر من مناصب السلطنة كما أورد عن عزل عبد الله باشا من ولاية مصر عام ١١٦٥ هـ// ١٧٥١ م قال : « إذا بخط شريف أتى خطاباً إلى عبد الله باشا أن يكون باشا حلب ومسلم محمد باشا أتى إلى ابن الدالى ، فسافر عبد الله باشا بعد ما حاسب وغلق ما عليه ، وسافر براً إلى مدينة حلب ، فهادوه أعيان مصر »(٣١) .

ومن الموضوعات التى تميز بها الدمرداش عن معاصريه بما فيهم الجبرتى انفراده بتقديم الوصف التفصيلى الشامل لما كان يدور فى اجتماعات « الديوان العالى »(٣٢) أهم وأعلى مجلس إدارى فى ولاية مصر ، فقد قدم الدمرداش معلومات مفصلة عن ذلك الديوان يمكن منها استخلاص لمن كانت عضويته ، والمناقشات التى كانت تجرى بين أعضائه ، وطريقة الدعوة لعقد اجتماعاته ، وهو ما يميز الدمرداش حتى عن محاضر جلسات ذلك الديوان التى عثرت على بعضها بين دفاتر المحكمة الشرعية(٣٣) ، فقد اكتفت تلك المحاضر بذكر أعضاء كل جلسة ، والقرارات التى انتهوا إليها دون ذكر لتفاصيل تلك المناقشات التى كانت تدور فى الاجتماعات أو الجلسات .

ومن الصور الطريفة التى قدمها الدمرداش لإحدى اجتماعات الديوان العالى ، صورة الاجتماع الذى عقده الديوان فى عام ١١١٠هـ//١٦٩٨ م على أثر وصول أمر شريف من الدولة ، يطلب من الباشا ، تجهيز حملة لمحاربة عربان أولاد وافى(٣٤) قال : « دارت التنابيه على السناجق والأغاوات واختيارية السبعة أوجاقات ، باتوا وأصبحوا طلعوا الديوان ، وطلع حسين باشا ديوان الغورى ، ناوله الآغا الخط الشريف ، قبله ووضعه فوق رأسه ، ثم ناوله ليد كاتب الديوان قراه على سماع كل من كان حاضر خطاب إلى حسين باشا حال وصول الأمر الشريف تركب نفر عام تقطع عربان المغاربة والضعفا والنجا من بلاد البهنسا وبنى سويف والفيوم .

وبعد قطعهم توجه إلى إقليم « درجه »(٣٥) تقطع هواره قبلى الملتزمين ببلاد الكشوفية تعلم ذلك والحذر من المخالفة فقالت العساكر سمعنا وأطعنا أمر مولانا السلطان قال الباشا حضروا أرواحكم بعد غد أنا مقصودى أركب وإذا بحسن أغا بلفيه قال يا سلطانم أنت لما تطلع تطلع معك كامل الصناجق والأوجاقات بكامل عساكرها وأغاوات دار السعادة يزيد عن ثمانية آلاف الخدم والخيول أى بلاد تعود تحملنا ولكن إذا كان نفسكم مع صنجق وأغات بلوك والاسباهية يخرجوا من حقهم ، هذه مادتين واحدة علينا وواحدة على أخينا إبراهيم بك وإذا بإبراهيم بك قال هذه قسمة طيبة ، ماذا يكون علينا قال حسن أغا طرد المغاربة والضعفا والنجعا عليكم وقطع هواره من الملتزمين، وضبط بلادهم للكشوفية علينا واذا بالباشا قال من ينزل للعرب قال إبراهيم بك أخينا عوض بك وإذا به قام قبل الأتك بتاع الباشا ، وجلس قدامه وقال نعم أنا أنزل وأخرج من حقهم ولا أريد من مال الميرى شيء إلا مدفعين وكللهم والجبخانة وفرمانا على كل بلد ثلاثة آلاف والكفر ألف وخمسماية كلفة التجريدة ، ولكن بشرط أكون كاشف الفيوم وبنى سويف ثلاث سنوات أولهم سنة ١١١٠ هـ وآخرهم سنه ١١١٤ هـ خوفاً من أن ينزل العرب للوادى ثانى مرة والحماية بطالة إذا طلعت العرب بلد وطلبتهم أنكروهم اضرب البلد لم يطلع أحد حماية لتلك البلد وإذا بالباشا قال أعطيك فرمان تتمسك به وأرسل صحبتك الكتخدا بتاعى بالولاة هاتوا القفاطين خلع عليه كشوفية الثلاث سنين وسر عسكر التجريدة ، وخلع على أغا التفكجية وخلع على كتخداه وكتب فرمان بالجبخانه والكلل والمدفعين وفرمان بما طلبه عوض بك »(٣٦) .

وانفضت جلسة الديوان ونزل عوض بك يجهز نفسه للحملة التى قادها بنجاح وقضى فيها على عربان المغاربة قضاء تاماً .

ومن الموضوعات النادرة التى انفرد الدمرداش بتسجيلها محاضر اجتماعات

الجمعيات(٣٧) وهى الاجتماعات المؤقتة التى كانت تعقد فى حالة وقوع أزمة عامة تمس حياة الشعب .

فقد أورد الدمرداش فى أحداث عام ١١١٤ هـ // ١٧٠٢ م بمناسبة وقوع أزمة لارتفاع الأسعار وفساد العملة صورة « للجمعية » التى عقدت لمواجهة الموقف قال :

« دخل شهر رمضان ١١١٤ هـ والناس فى كرب من قبل المعاملة ، وعدم الجدد النحاس واتجمعت على التجار وأرباب الصنايع . ودخلوا إلى الجامع الأزهر اشتكت إلى ساداتنا العلما ماهم فيه من قبل الفضة المقصوصة وعدم الفلوس النحاس واقتضى الراى أنهم يكتبوا عرض حال يعلموا بهم حضرة الوزير وإذا بهم كتبوا عرض حال فى خصوص ذلك وطلعوا به إلى الديوان قدموه للباشا قراه عرف ما فيه وإذا به كتب فرمان بالجمعية فى بيت حسن أغا بلغيه بحضور السادات والبكرية والسادة العلما والصناجق والأغاوات واختياريه السبعة أوجاقات بإبطال الفضة المقصوصة وظهور الجدد النحاس(٣٨) ، وتنزيل أصناف الأسعار بأى وجه كان ، وأعطاه ليد كتخدا الجاويشية ، كتب عليه كاتب حوالة التنابيه(٣٩) ، ودارت بها الجاويشية وباتوا تلك الليلة ، وعند الصباح أتوا بيت حسن أغا بلغيه(٤٠) جميع من ذكرناهم ، وأتى قاضى العسكر ، ونزل كتخدا الباشا الجمعية قاموا يهرجوا لم يصادف قولهم ، وإذا بتخدا الباشا قال ما تجعلوا مصر قبل اسلامبول تولوا حكم الرعايا والأسعار ومن يتعاطا الموازين إن كان غز وإلا رعاية إلى أغاة الانكشارية(٤١) وإذا بحسن أغا بلغية قال أنت فين يا على أغا ، وإذا به حاضر قال له تعالى اسمع كلام كتخدا الباشا قال أنا سامع كلام أخينا الكتخدا وأنا أفعل ما يرضى الله ورسوله ولكن بشرط الحماية بطالة وأسمر الصاغة والتجار تطلع الفضة التى يتسوقوها إلى دار الضرب(٤٢) يقطعوها جدد وأبطل الخامير والبوظ والخواطى وامشى الفضة

البيضة والجدد النحاس(٤٣) وأنزل أسعار الأصناف ولم أقبل رشوة من أحد وإن سمعتم أنى قبلت من أحد سقطت من عدالتى وكل من تعاطى الميزان تحت حكمى ، ولم أحد يعارضنى فيه ، وإذا نزلت بموكبى لم أحد يقف قدامى(٤٤) وأركب خلفى سبعة جاويشية ، من كل أوجاق جاويش مع الملازمين والقابجية والوالى وأوضا باشى البوابة وأمين الاحتساب ، فإذا أحد قد أدبه فإن يكون من الرعايا على أدبه ، وإن يكن عسكرى أخذه جاويشه إلى بيت أغاته، يخرجوا من حقه ، لا أحد لاعال ولا دون يقف لى فى طريق ، وأنا شاقق البلد ، ماذا قلتم بهذا وإذا المجلس جميعه قالوا والله إنه كلام لبن وأخـــذ القاضى حجة إقرار من فى المجلس تماماً أعطاها ليد كتخدا الباشا يكتب عليها فرمان ، وركب طلع الباب يوم ١٧ رمضان من سنة تاريخه(٤٥) وقد قام على أغا بالمهمة المطلوبة منه بنجاح وبعد عزله فى عام سنة ١١١٦هـ//سنة ١٧٠٤م .

ارتفعت أسعار الأصناف ارتفاعاً كبيراً فى عام ١١١٧ هـ // ١٧٠٥ م فتظلم التجار من ذلك إلى الباشا « رامى محمد باشا » وسجل الدمرداش ما حدث فقد كتب الباشا السابق «باجمعية» فى بيت الدفتردار .

وفى تلك الجمعية استقر رأى الحاضرين من صناجق وأغاوات واختيارية الفرق والأشراف وأرباب السجاجيد على أنه لايصلح أمور البلد إلا على أغا وكان قـــد امتنع عن الحضور ، فأحضروه وأرغموه على تولى منصب أغا الانكشارية ،والعودة للتجول ثانية فى الأسواق بموكبه وإعادة تسعير الأصناف ومراقبة أسعارها فعادت الأحوال كما كانت وقت توليـه منصبه المرة الأولى وتحسنت أحوال الأسواق والأسعار .

وما أكثر ما سجل الدمرداش فى تاريخه من أحداث تعددت لتتناول نواحى شتى من حياة المجتمع المصرى من ذلك ما سجله الدمرداش عن الناحية المالية ،

ونظام وظروف فرض الضرائب الإضافية التى عرفت « بالمضافات »[٤٦] والتى كانت تفرض على أهم مصادر الدخل فى مصر من أرض وجمارك ، « وكشوفية مناصب »[٤٧] وذلك لمواجهة النقص الذى كان يظهر فى إيرادات « الخزينة الإرسالية » للسلطان أو إيرادات خزينة مصر ، كما حدث فى عام ١١٠٧ هـ // ١٦٩٥ م بفرض زيادة قدرت بـ ١٠٠٠ بارة على كل كيس ، والكيس يساوى ٢٥٠٠٠ بارة ، وقد صور الدمرداش فى عرضه كيف تم ذلك بتدبير روزنامجى مصر وقتها « حسن أفندى » الذى عينه الباشا خصيصاً للخروج من الأزمة ، ونتبين من خلال العرض الذى قدمه الدمرداش ، حقائق كثيرة عن شخصية الروزنامجى وكيفية تعيينه ، ومعاونيه ، ونظام بيع الوظائف ونظام فرض الضرائب الإضافية ، وعلاقة ولاية مصر بدار السلطنة العثمانية ، ومعلومات أخرى كثيرة ، فتاريخ الدمرداش يشبه تلا أثرياً كلما نقبنا فيه عثرنا على جديد وطريف ، وهو لا ينسى شيئاً ويسجل كل ما يقع فى عهده من ذلك على سبيل المثال ماسجله عن محاولة السلطان حرمان الأمراء المماليك فى مصر فى عام ١١٥٢ هـ // ١٧٣٩ م من حيازة التزامات الجمارك[٤٨] .

فقد أرسل السلطان للباشا يقول « إنك تضبط المقاطعات تماماً ، ولم تعطى المصرلية شيء عن سنة ١١٥٢ هـ ، ونزل أغاوات من عندك ، كتاب » ولما أبلغ الباشا الأمراء بذلك فى إحدى جلسات الديوان العالى أجابوا بالسمع والطاعة ثم « نزل جميع من كان فى الديوان ، ونزلوا اختيارية الانكشارية والعزب إلى بيت عثمان بك وقالوا : هذه المقاطعات جرتنا من قديم الزمان فيها لقمة للذى يسافر بالبيرق ، لو أن لم يبق منا واحداً ، لا يمكن أن نفوت جرتنا » ، ولم يلبث الأمراء أن أرسلوا للسلطان يستعطفوه فى احتفاظهم بالمقاطعات كية ، فأجابهم إلى ذلك بالطبع رغماً عنه ونزولا على الأمر الواقع .

..عات التى عنى الدمرداش بتسجيلها كيفية تعيين صناجق مصر

على يد الباشا فيما عدا أمير الحج الدفتردار إذ يأتي مرسوم تعيينهما من السلطان رأساً ، وقد قدم الدمرداش في الأعوام التي أرخ لهـــا إحصاء سنوياً بعدد صناجق مصر والوظائف التي يشغلونها فيذكر مثلا :

في عام ١١٦٤ هـ// ١٧٥٠ م(٤٩) . « كملت صناجق مصر ثمانيـة عشر صنجاً » منهم :

١ - محمود بك الدفتردار .

٢ عمر بك أمير الحج .

٣ - يوسف بك أمير الخزنة العامرة .

٤ - أحمد بك الخازندار .

٥ - إبراهيم بك بلغيا .

٦ - إسماعيل بك الشرايبي(٥٠) .

وفي عام ١١٦٨ هـ//١٧٥٤ م ذكر الدمرداش « كملت صناجق مصر اثنين وعشرين صنجقاً »(٥١) .

ومن الأحداث التي سجلها الدمرداش الحملات التي كانت السلطات ترساها ضد المتمردين من العصبيات العربية كالهوارة وأولاد حبيب(٥٢) ثم الأوامر التي كانت ترسل من السلطنة لإدارة مصر كما حدث في عام ١١٤٥//١٧٣٢ م حيث سجل الدمرداش أمر وصول قابجي(٥٣) يحمـل الأمر بتحرير الجزية في مصر نصارى قبط وأروام وأرمن عال بأربعمائة نصف الورقة وأوسط بمائتين نضة الورقة ، وأدنى بمائة نصف نضة الورقة ، وطلب إرسال محررين إلى كامل أقاليم بحرى وقبلي(٥٤) ومثل طلب الدولة في عام ١١٦٨ هـ // ١٧٥٤ م حلوان(٥٥) ما كان تحت تصرف المرحوم إبراهيم كتخدا من بلاد ورزق وجراية وعليق »

أملاك وقد عنى الدمرداش بتسجيل الكثير عن أنبـــاء الفرق العسكرية ومنازعاتها كما حدث بالنسبة لفتنة إفرنج أحمد التى دونها الدمرداش بالتفصيل(٥٦) وأيضاً أورد الدمرداش الكثير عن تنظيمات الفرق من ذلك على سبيل المثـال ما ذكره عند عرضه لحياة «كجك محمد»(٥٧) فى أحداث عام ١١٠٦هـ//١٦٩٤م قال: لما قعد باش أوضه باشى أو جابوا له ملوطة وقاووق، وإذا به قال مرادكم أكون باشى أوضة باشى(٥٨) لم تكتب رسالة ولا قوالق إلا بمعرفتى، ولبس الضلمة بمعرفتى، والكلام فى الباب لثلاثة من غير زيادة باش اختيار، والكتخدا المتولى وباش أوضا باشى ما قلتم أجابوه على ذلك»(٥٩).

وكثيراً ما حدثنا الدمرداش عن امتيازات الفرق العسكرية قال: «مدخول المتفرقة القـلاع وجبجى باشا، وقافلة باشا والمعمار وأزلم ومتفرقة باشا مالك الديوان والجاويشية لهم خازندار الديوان، دلال البلاد وكاتب حوالة وأمين الاحتساب، وكتخدا الجـاويشية والعزب معهم الرسالة ووالى البحر والعقبة وأمين البحرين، الخردة والمراكب حول مصر تماماً والاسباهية مسلمين الأقاليم وجوربجية الأقاليم وخدام البلاد»(٦٠).

أما الانكشارية فكثيراً ما تحدث عنهم وعن استبدادهم بالسلطة ومحاولتهم السيطرة على المقاطعات الجركية الغنيـة، والاحتفاظ بدار الضرب تحت يدهم للتحكم فى العملة، بالإضافة إلى محاولتهم فرض حمايتهم على أرباب الحرف قال «إن الانكشارية جاعلين تجار البن القهوة يولداشات حمايه أخفوا البن لم يبيعوا إلى تجارهم وتجار الصابون كذلك والعيش لم يقدر أمين الاحتساب يعايره على خباز كونه حمايتهم، والمقاطعات معهم يأخذون من الأمنا موجب ما يأتى من بلادهم، ويغلوا الأخضار والفاكهة، ودار الضرب داخل بابهم، يضربوا عيار السكة على مرادهم»(٦١).

وفى عام ١١٦٨ هـ// ١٧٥٤م سجل الدمرداش موضوعاً هاماً هو موضوع

الخزينة الإرسالية(٦٢) التي غدت في أواخر القرن الثامن عشر لا ترسل كل عام بل حسبما يرى الأمراء المماليك فقد يؤخرونها عاماً أو عامين أو ثلاثة قال «أتى خط شريف بطلب ثلاثة خزانات في دولة مصطفى باشا خزنه سنة ١١٦٥ هـ، سنة ١١٦٦هـ، سنة ١١٦٧ هـ»(٦٣).

ولم يقتصر الدمرداش على تسجيل الأحداث السياسية في مؤلفه، بل تناول الكثير من الشئون الاقتصادية، الاجتماعية فكثيراً ما تحدث عن أسعار السلع وارتفاعها فنراه يذكر أسعار البن والصابون والسكر الخام والمكرر والعسل بأنواعه، والزيت بأنواعه أيضاً والطحينة والزيتون والجبن واللحم والسمن والدقيق والعيش(٦٤)، وكثيراً ما تحدث الدمرداش عن فساد العملة وسريان الغش إلى المواد التي تدخل في تركيبها كما دون أيضاً أنباء النيـــل وفيضانه كل عام(٦٥) وأثر زيادته أو نقصه في حياة مصر، كما دون الدمرداش أنباء الأوبئة التي كانت تجتاح البلاد وأسبابها كما ذكر في أحداث عام $\frac{١١٠٧ \text{ هـ}}{١٦٩٥ \text{ م}}$ ما كان من حدوث شراقي بسبب نقص ماء النيل مما أدى إلى وقوع مجاعة ووباء قال «فأخلى الفلاحون بلادهم ودخلوا مصر، وصاروا يخطفون الخبز من الأفران والطوابين فقلوا وصارت الأغنياء تخبز عيشهـا في البيوت، والفقرا فطهر على الربيع، حتى أكلوا سلتها القطط والرمم، وإذا بالطعن والطاعون، وقد الحارات والأزقة من الموتى وقع فيهم في خماسين سنة سبعة وماية وألف ثم وقع في الإمارة وتوابعها»(٦٦)، هـذا ولم يفت الدمرداش تسجيل الظواهر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي سادت المجتمع المصري العثماني في أيامه ففي عام ١١٥٧هـ//١٧٤٤ م يذكر الدمرداش أن باشا مصر «أبطل من مصر شرب الدخان على الدكاكين، وقدام البيوت ومصاطب القهاوي»(٦٧).

ومن العادات الاجتماعية التي دونها الدمرداش عادة إقامة أفراح أسرة الباشا

فقد ذكر بعد انتهاء وباء ١١٠٧هـ//١٦٩٥م الفرح الرائع التى أقامه باشا مصر قال «فلما زال الوبا والغلا وبقيت الناس فى رضا وخير شرع الباشا فى فرح طهور أولاده فصل مايتان قفطان، ومايتان قميص، ومايتان حرام وأحضر مايتان شد ومايتان لباس ومايتان طاقية، ومايتان حرام، وأحضر مايتان صرمة لأولاد خدمه فى القلعة.

وفى فم الواحد عندطهوره شربفى أحمر(٦٨) طرة، أتت الفراشين نصبت الأحمال، وعلقوا فى حوش الديوان قناديل وثريات، وأتى «أبواليسر الجنكى» ديوان الغورى(٦٩) بماليكه وجنك اليهود فى ديوان قايتباى والحواه والقرادتية والخيال والأدبا فى حوش الديوان والنوبة التركى تحت ديوان قايتباى بخيم وأرسل إبراهيم بك خازنداره بثلاثين مملوك وفرش ديوان الغورى بالأبسطة المفتخرة وبمراتب ووسايد ووقف رجال الباشا يستقبلون المهنئين لمدة خمسة عشر يوماً لا أكابر ولا أصاغر والرعية طالعين يتفرجوا والمدينة فاتحة لم أحد يقول فيها لأحد أنت رايح فين أمن وأمان وسخا ورضا.

وكانت مماليك إبراهيم بك فى باب الديوان واقفين للخدمة وقرة محمد أغا كتخدا الباشا جالس يتلقى الناس فكان أول يوم قاضى العسكر بقضاة المحاكم وثانى يوم كان العلما كمالا والمدرسين والطلبا وثالث يوم كان نقيب الأشراف بكامل الأشراف ورابع يوم على أرباب السجاجيد والحرف وخامس يوم على كامل السناجق والأغاوات وسادس يوم على أوجاق الجاويشية وأوجاق متفرقة وسابع يوم كامل اختيارية أوجاق مستحفظان والجوربجية وثامن يوم على أوجاق عزبان كامل الاختيارية والجوزية وتاسع يوم على كامل أوضاباشية الانكشارية وعاشر يوم أوضاباشية العزب وحادى عشر يوم على أهل خان الخليلى وسوق الصاغة وثانى عشر يوم على التجار والعقادين الرومى والقاووقجية والسروجية وثالث عشر يوم على تجار المغاربة وأهل الغورية وطيلون ورابع عشر يوم على العمى بالجامع الأزهر والشحاتين فى حوش

الديوان سماط للعمى وسماط للفقرا يوم الخامس عشر وكان يوم الخميس ويوم الجمعة طهر أولاده الاثنين والمايتان ولد من خدمة القلعة ، وكل واحد ببدله وشريفى طرة فى فمه وأنعم على الأغاوات وباش جاويشية وزعيم مصر[70] باكراك سمور وقاقوم وعتامنه .

وأعطى خازندار إبراهيم بك أبو شنب عشرين عثمانى وإلى كل مملوك خمسة ذهب بطرة وأرضى الجنك وأرباب الملاهى والفراشين والطباخين والحلوجية .

وانفض العرس كان عرس سلاطين مصر السوالف لم حصل قبله ولا بعده فى دولة آل عثمان »[71] .

ويمكن من دراسة تاريخ الدمرداش معرفة التركيب الطائفى للمجتمع المصرى فى العهد العثمانى فهو يذكر الكثير من شيوخ الطوائف الحرفية مثل شيخ الطحانين ، شيخ الخبازين ، شيخ المعصراتية ، وشيخ وكالة الزيت ، شيخ الجزارين ، شيخ القبانية ، شيخ السكرية[72] وغيرهم من شيوخ الطوائف الحرفيـة .

وكتاب الدمرداش « الدرة المصانة » يعتبر كما رأينا من خلال السطور التى عرضتها وكما يرى من يدرسه بالتفصيل مصدر هام وقيم لدراسة المجتمع المصرى من معظم زواياه فى فترة هامـة من فترات الحكم العثمانى فى مصر فى القرن الثامن عشر .

وسأقوم فى المستقبل القريب بإذن الله بنشر وتحقيق هذا الكتاب ، وفاء لحق صاحبه علينا وخدمة للباحثين فى تاريخ مصر فى العهد العثمانى .

الحواشى

(١) يذكر المؤلف على الغلاف أن كتابه الى آخر سنة ثمان وستين ومماية وألف ولكنه دون الأحداث الى عام ١١٦٨ هـ فى الصفحات من ٥٦٦ حتى ٥٨٣ ومن ص ٥٨٤ الى ٥٨٩ تناول أحداث عام سنة ١١٦٩ هـ فكأنه استطرد لتدوين أحداث عام أكثر مما ذكر فى مقدمته .

(٢) هذه النسة كتبها عبد القادر الحنبلى بالقاهرة بجامع على بك سنة ١٢١٥ هـ ثم استقرت بالمتحف البريطانى بلندن ، وقد تفضل أستاذنا الكبير الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بالسماح لى بالاطلاع على نسخة مصورة من المخطوط عن نسخة لندن وقد قام الأخ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن بطبع هذه النسخة المصورة فى كتاب أطلعنى مشكورا عليه .

(٣) تعتبر فرقة العزبان أهم الفرق العسكرية فى مصر بعد فرقة الانكشارية وكان يشار اليهم فى المصادر العربية باسم « عزب » وتعنى هذه الكلمة فى الأصل غير المتزوج ، ثم أطلقت على أنواع مختلفة من الجنود وفرقة العزبان فرقة مشاة خدمت وقت فتوح السلطان سليم ، وبعد فتح مصر أسندت الى العزبان مهمة حراسة ممرات القلعة ، وضواحى القاهرة فكانت تمثل مع الانكشارية ، هيئة الدفاع الأساسية عن القلعة .

د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى : الباب الرابع

(٤) لم أعثر على مؤلفات أخرى للدمرداش حتى الآن .

(٥) د. محمد أنيس : مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ص ١٨ .

(٦) امارة الحج كانت من المناصب الهامة فى مصر العثمانية ويتولاها الأمراء الصناجق دوريا وعلى البك أمير الحج أن يحافظ على سلامة الحجاج — ويتعهد فى اجتماع خاص يعقده الديوان العالى — بحمل مبلغ الصرة الشريفة وتسليمه لأهالى الحرمين الشريفين ، ومن أهم واجبات أمير الحج كف أذى العربان فى طريق الحج بكل الوسائل سواء باستمالتهم بالمال أو بارهابهم بالقوة العسكرية وكلما نجح أمير الحج فى تلك المهمة كلما زاد شهرة .

(٧) افرنج أحمد من رجال فرقة الانكشارية وقد أثار الفتنة والصراع بين الفرق جميعها فى عام ١١٢٣ هـ سنة ١٧١١ م وكاد يشعل بينها وبين الباشا والصناجق نار حرب أهلية وذلك بسبب سعيه لبسط نفوذه فى فرقته التى قاومته فلجأ الى غيرها من الفرق ، عن فتنة أفرنج أحمد وشخصيته انظر الشيخ على بن محمد الشاذلى الفرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة مصر القاهرة تحقيق ونشر دكتور عبد القادر طليمات المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ .

(٨) البيرق : العلم .

(٩) الدمرداش : الدرة المصانة جـ ١ ص ١٥٨ .

(١٠) الدمرداش : المرجع السابق حـ ١ ص ١٧٢ .

(١١) المرجع السابق حـ ١ ص ٢٦٤ .

(١٢) يتفق الجبرتى فى عجائب الآثار معالدمرداش فى اتخاذ عام ١٠٩٩هـ بداية للاحداث التى دونها وفى الاشارة فى بداية تاريخه أيضا الى ظاهرة انقسام جند مصر الى فقارية وقاسمية وأسباب ذلك بالضبط كما أورده الدمرداش فى مقدمة كتابه .

(١٣) تراجم الصواعق : مخطوط برقم ٣٣٦٩ بدار الكتب بالقاهرة الفه الصوالحى لتسجيل موقعة مقتل الأمراء الفقارية الصناجق التى وقعت سنة ١٠٧١ هـ ثم استطرد فيه لكتابة تاريخ مصر من سنة ١٠٧١ هـ ١٦٦٠ م الى سنة ١١١٣ هـ ١٧٠١ م بنظام التأريخ الحولى .

(١٤) تحفة الأحباب : مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج برقم ٢٨ تاريخ وهو تاريخ لمصر من أقدم العصور فى أربعة أبواب خصص منها الباب الرابع للتأريخ لمصر العثمانية منذ الفح العثمانى حتى عام ١١٣١ هـ ١٧١٨ م كبه بطريق التأريخ للباشوية المصرية يبدأ بذكر عهد كل سلطان ومن تولى فى عهده من الوزراء فى مصر والأحداث التى وقعت فى عصر كل وزير

(١٥) كتب الشيخ على بن محمد الشاذلى الفرا كتاب ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة كشاهد عيان لفتنة افرنج أحمد سنة ١١٢٣ هـ ـ ١٧١١ م وقام بنشره وتحقيقه د. عبد القادر أحمد طليمات فى المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ لسنة ١١٦٨ م .

(١٦) مخطوط أوضح الاشارات بجامعة ييل برقم Lane berg 3 وهو تاريخ لمصر منذ سنة ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م الى سنة ١١٥٠ هـ — ١٧٣٧ م فى ٥٠٠ صفحة وقد سارفيه المؤلف على طريقة التاريخ لمصر من خلال عرضه لعهد باشاواتها ، ويقوم حاليا الزميل الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن بنشر هـذا المخطوط .

(١٧) تاريخ وقائع مصر القاهرة : مخطوط بدار الكتب بالقاهرة برقم ٤٠٤٨ تاريخ ومؤلفه الحاج مصطفى ابراهيم معاصر للدمرداش ومن نفس فرقة العزبان الى كان الدمرداش ينتمى اليها ، والغريب أن كلا منما لم يترجم للاخر أو يذكره فى مؤلفه ومخطوط الوقائع تاريخ لمصر العثمانية منذ عـام ١١٠٠ هـ — ١٦٨٨ م الى ١١٥٢ هـ — ١٧٣٩ م على نفس نظـام ومنهج الدمرداش وان كان الدمرداش أكثر تفصيلا .

(١٨) صفوة الزمان : مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج برقم ٥١ تاريخ مكون من ٢٤٨ ص وهو تاريخ لمصر منذ الفتح الاسلامى الى سنة ١٢٢٣ هـ والمؤلف مصطفى الصفوى من علماء الأزهر وقد سار فى مؤلفه على طريقة التأريخ بالحوليات .

(١٩) ذكر الدمرداش فى أحداث عام ١١٠٦ هـ — ١٦٩٤ م بمناسبة الحديث عن وكيل روز نامجى مصر « محمد أفنـدى بن الجيعان » أنه أى الدمرداش كان يعمل « ابن خزنة عنده » ويتضح من ذلك أنه كان على صلة قوية برجال الادارة المالية ، مما جعله يبدو أكثر مؤرخى عصره فهما لنظم تلك الادارة ومصطلحاتها .

(٢٠) لقد اشتركت قوات الحامية العسكرية العثمانية الممثلة فى الفرق السبع فى مصر فى حروب السلطان فى أوقات مختلفة وفى ميادين متعددة ، وكان بكوات المماليك الصناجق يتولون قيادة الحملات المصرية هـذه دوريا فمثلا عندما اشتركت فرق من الحامية العثمانية المصرية فى حرب العثمانيين فى جزيرة كريت قاد ابراهيم بك أبو شنب هذه الحملة المكونة من ألفى جندى وانتهى الأمر بانتصار العثمانيين ، وعودة القائد المصرى منتصرا الى بلاده .

(٢١) السدادرة جمع سردار وهو قائد من الفرقة العسـكرية وعند خروج البك المملوكى فى حملة لمساعدة الدولة فى حروبها كان يصحبه رجال من الفوق العسكرية السبعة فى مصر مع سدادرة سبعة أى قادة لتلك الفرق.

(٢٢) الدرمرداش : الدرة المصانة حـ ١ من ص ١٠٥ الى ص ١١٣ .

(٢٣) تتلخص تلك القصة فى أن كجك محمد قد لقن التاجر الفيومى — الذى خان الأمانة وتنكر لصديقه له أودعه وديعة قبل سفره للحج — درسا فى حفظ الأمانة والوفاء بالوعد ويستدل من هذه القصة على ذكاء كجك محمد وعدالته .

الدمرداش : الدرة المصانة حـ ١ ص ١٢ .

(٢٤) الجبرتى : عجائب الآثار حـ ١ ص ٦ .

(٢٥) يستطرد الجبرتى عن ذلك فيقول « وكنت قد ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، لكنه على نسق فى الحملة مطبوع لشخص يقال له أحمد جلبى عبد الغنى مبتدئا فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية ، وينتهى كغيره ممن ذكرنا الى خمسين ومائة وألف هجرية ، ومن ذلك الوقت الى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ، ولم يسطر فى هذا الشأن شيئا يفيد » ويبدو هنا بوضوح تجاهل الجبرتى لعمل الدمرداش الذى امتد حتى عام ١١٦٩ هـ .

(٢٦) المسلم : هو الرسول الذى يرسله الباشا بعد صدور قرار تعيينه لولاية مصر لابلاغ خبر هذا التعيين للامراء المماليك .

(٢٧) التقادم تعنى الهدايا .

(٢٨) الدمرداش : الدرة المصانة جـ ١ ص ٦ .

(٢٩) بدأت ظاهرة عزل الباشا على يد الأمراء المماليك منذ عام ١٠٤٠ هـ — ١٦٣٠ م حـ ين عزل الأمراء المماليك موسى باشا الذى حاول الايقاع بينهم وكتبوا للسلطان الذى أقر عملهم .

(٣٠) الدمرداش : الدرة المصانة حـ ٢ ص ٤٢٥ .

(٣١) الدمرداش : الدرة المصانة حـ ٢ ص ٥٥٨ .

(٣٢) كان الديوان العالى يمثل فى مصر العثمانية المجلس الادارى الأعلى فى البلاد ، فيه تدرس وتناقش كل شئون الحكم والادارة فى ولاية مصر ، وتصدر القرارات التنفيذية ومن أمثلة الموضوعات التى كانت تعرض فى ذلك الديوان : أوامر الباب العالى المرسلة الى مصر — والشئون المالية فى البلاد ، ارسال صرة الحج ، ارسال الخزينة الارسالية للسلطان ، وموضوع استقبال الباشا الجديد ، محاسبة الباشا المعزول من ولاية مصر ، احتفالات وفاء النيل ، وطلب ارسال فرق عسكرية لمساعدة الدولة فى حروبها خارج مصر ، اعلان تولية السلاطين الجدد ، شئون العملة .

وقد عرف هذا الديوان باسم الديوان العالى أ والديوان الكبير تمييزاً له عن ديوان آخر وجد فى مصر العثمانية وعرف بالديوان الصغير أو ديوان الباشا وكان يمثل المجلس التنفيذى اليومى الذى يجتمع فيه الباشا مع وكيله وبعض كبار رجال الادارة فى مصر لتصريف شسئون الولاية المعتادة

لمزيد من المعلومات عن الديوان العالى واختصاصاته انظر : د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى الباب الثالث القاهرة ١٩٧٨ .

(٣٣) يوجد سجلان من سجلات محاضر جلسات الديوان العالى بين سجلات المحاكم الشرعية الموجودة حاليا بدفتر خانة الشهر العقارى بالقاهرة والسجل الأول خاص بالسنوات من ١١٥٤ هـ ـ ١١٥٧ هـ ـ ١٧٤١ م ـ ١٧٤٤ م .

والسجل الثانى خاص بالسنوات من ١١٧٧ هـ ـ ١٢١٩ هـ = ١٧٦٣ م ـ ١٨٠٤ م .

(٣٤) عربان أولاد وافى : من عرب المغاربة وكانوا يعيثو نفسادا فى منطقة بنى سويف والبهنسا والفيوم .

(٣٥) اقليم درجة أى اقليم جرجا .

(٣٦) الدمرداش : الدرة المصانة حـ ١ ص ٦١ .

(٣٧) ظهر نظام الجمعية فى مصر فى النصف الثانى من القرن السابع عشر وقد اختلفت الجمعية عن الديوان العالى فى أسباب عقدها والشكل الذى كانت تأخذه وعضويتها وكانت تعقد فى معظم الحالات فى بيت أحد كبار الأمراء المماليك صاحب النفوذ الأكبر فى عصره ، وهى نظام اعترف به السلطان نفسه ، وكانت تعقد فى حالة الأزمات العامة التى تستدعى الحصول على رأى عام وموافقة الزعامات التى تمثله بالنسبة للمسائل موضوع البحث وربما كان ظهور نظام الجمعية نتيجة لضعف السلطة العثمانية فى مصر .

د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر اباب الثالث الفصل السابع .

(٣٨) كانت العملة تسك فى مصر أثناء العهد العثمانى اما من الذهب أو الفضة أو النحاس فى سبائك غير خالصة وبفئات مختلفة ، وكان أقل النقود الفضية قيمة هو البارة أو النصف فضة ، والنقود النحاسية أجزاء البارة مثل الجديد ومنذ سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م والنقود فى مصر يجدد سكها كلما تولى عرش السلطنة سلطان جديد وكانت القيمة السائدة للنقود فى مصر تتغير من وقت لآخر .

(٣٩) التنابية : هى تذاكر الدعوة التى ترسل مع رسل من فرقة الجاويشان لحضور الجلسة المزمع عقدها ، وترسل « التنابية » فى الليلة السابقة لعقد الجلسة .

(٤٠) عن ترجمة حسن أغا بلفية ، انظر الجبرتى : عجائب الاثار حـ ١ ص ١٦٧ .

(٤١) أغا الانكشارية فى مصر هو قائد تلك الفرقة وصاحب الصدارة على قواد بقية الفرق وهو قائد جيش مصر ورئيس قوات حفظ الأمن فى القاهرة وضواحيها ، وفى القرن الثامن عشر انتقلت السلطة الحقيقية فى أوجاق الانكشارية الى يد الكتخدا ، وظل الأغا يختفظ بسلطات البوليس الهامة التى كانت من اختصاصه من أوائل العهد العثمانى وكانت سلطة أغا الانكشارية تشمل الحفاظ على الأمن العام والاشراف على شئون الشرطة فى كافة المجالات وكان يؤدى هذا الواجب عن طريق نقط الشرطة فى القاهرة وضواحيها بالاستعانة برجال من فرق الانكشارية ، ومن مماليكه الخاصة وقد بلغت سلطة أغا الانكشارية أوجها فى الاشراف على الأمن فى القاهرة فى الربع الأول من القرن الثامن عشر ، فقد كانت الادارة العثمانية تمنح أغا الانكشارية نوعا من التفويض العام بالسلطة فى وقت الأزمات ، مما أدى الى اتساع سلطته اتساعا كبيرا ، ومن أشهر الأغوات الذين منحوا هذا النوع من التفويض العام بالسلطة على أغا المشار اليه أعلاه .
د. ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر : الباب الرابع ، الفصل التاسع.

(٤٢) دار الضرب : دار سك العملة وكانت موجودة فى القلعة .

(٤٣) الجدد النحاس : نقود نحاسية تمثل أجزاء البارة ، وكان الجديد يساوى ربع بارة والمقصوص يساوى ٨ جدد .

(٤٤) لتخفيض أسعار الأصناف ، أحضر على أغا شيخ الطحانين والخبازين ، وتجار البن والصابون ، وشيخ المعصرانية وشيخ وكالة الزيت الطيب ، وشيخ الجزارين ، وشيخ القبانية ، شيخ السكرية وكتب لهم قائمة بكامل أسعار الأصناف المخفضة ، ثم أخذ من الباشا فرمان بالموافقة على تلك القائمة وبذلك هدات الأحوال ، وهبطت الأسعار الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ١٠٧ .

(٤٥) الجبرتى : عجائب الاثار ح ١ من ص ١٠٢ الى ص ١٠٤ .

مارس على أغا الانكشارية عمله على الصورة السابقة الى أن عزله حسن أغا بلفية سنة ١١١٦ هـ = سنة ١٧٠٤ م وقد التزم الأمراء

المماليك بتعهدهم له بعدم الوقوف فى طريقه ، حتى أنه ذات يوم كان اسماعيل بك الدفتردار ذاهبا الى الديوان فلما علم بمرور موكب على أغا توارى من طريقه فلما قال له من حوله أنت دفتردار مصر تتوارى من على أغا الانكشارية قال « كتبنا على أرواحنا حجة لم أحد يقف له فى طريق لأجل غيرنا ما يعتبر ».

الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ١١٣ .

وقد مارس على أغا عمله لمدة عامين من سنة ١١١٤ هـ الى سنة ١١١٦ هـ .

(٤٦) تعرضت مصر خلال العهد العثمانى لفرض عدة زيادات « مضافات » فى الضرائب فى أعوام ١٠٧٤ هـ = ١١٦٤ م ١١٠٧ هـ = ١٦٩٥م و ١١٥٥ هـ = ١٧٤٢ م ، ١١٧٤هـ = ١٧٦٠ م وذلك مسجل بدفاتر التزامات الأراضى والجمارك والايرادات الموجودة بدار الوثائق بالقلعة .

(٤٧) كشوفية المناصب : هى الضرائب التى كان يدفعها كبار الموظفين فى الادارة فى مصر العثمانية مقابل تعيينهم فى وظائفهم وايرادتهم التى يحصلون عليها من شغلهم لتلك الوظائف وقد عرفت هذه الضرائب أيضا باسم « كشوفية ى كبير » .

(٤٨) الجمرك هو الهيئة المختصة بتحصيل الرسوم المقررة للدولة على واردات البلاد وصادراتها وقد أديرت الجمارك فى مصر العثمانية سواء أكانت فى الموانى البحرية أو النيلية بنظام الالتزام كالأرض الزراعية ، وقد كان لباشا مصر الحق فى التزام جمرك هام هو جمرك عشور أصناف أو جمرك السويس أما باقى الجمارك الهامة . كالاسكندرية ودمياط ورشيد وبولاق ومصر القديمة فقد أخذ رجال الفرق العسكرية والأمراء الصناجق الحق فى حيازة التزاماتها .

(٤٩) الدمرداش : الدرة المصانة ح ٢ ص ٥٥٧ .

(٥٠) اسماعيل بك الشرايبى نسبة الى أسرة الشرايبى وهى أسرة تجارية ثرية اشتهرت بحبها للعلم والعلماء ، وكانت تقتنى عددا كبيرا من المماليك ثم تحررهم وتضعهم فى المناصب الهامة فينسبون اليها .

(٥١) كان من المقرر أن يكون عدد الصناجق فى مصر أربعة وعشرين صنجقا كل عام وهم من كبار الأمراء المماليك ، ولكن فى الواقع لم يكتمل عدد الصناجق فى معظم الأعوام .

(٥٢) الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ١٢٨

(٥٣) قابجى أى رســـول .

(٥٤) الجزية هى الضريبة التى كانت تفرض على أهل الذمة من أقباط ويهود فى مصر ، وعرف الرسول الســـلطانى الذى كان يرســـل من طرف السلطنة لجمع الجزية من مصر باسم الجزية دار .

(٥٥) حلوان : المـــال الذى يدفع للسلطة عند الحلول محل ملتزم آخر لوفاته وانحلال التزامه عنه نظير موافقة السلطة على التعديل .

(٥٦) الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ١٠٢ .

(٥٧) كحك محمد أحد زعماء فرقة المستحفظان « الانكشارية » وكان يشغل منصب باش أوضة باشى فى فرقته وسيطر على الادارة والســـلطة فى مصر منذ عام ١٠٨٥ هـ = ١٦٧٤ حتى عام ١١٠٦ هـ = ١٦٩٤ م .

(٥٨) منصب باش أوضة باشى أو كمـــا يذكر فى بعض المراجع باش أودة باشى لفهم طبيعة هذا المنصب وأهميته يجب التعرف على مكانته بالنسبة للمناصب الأخرى فى فرقة الانكشارية فقد كان قائدها يعرف بالأغا ويساعده فى عمله الكتخدا وبعده فى الرتبة الجاويش ثم وجـــد الاختيارية وهم كبـــار الانكشارية سنا ثم وجد موظفون أدنى رتبة مثل الأوضة باشى الذى كان يرأس احدى فرق الانكشارية التى تقيم عادة فى أوضة (غرفة) وكان يرأس الأوضة باشية موظف يسمى باش أوضة باشى .

(٥٩) الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ١٢ .

(٦٠) الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ١٣٢ .

(٦١) الدمرداش : المرجع السابق ح ١ ص ١٣١ .

(٦٢) الخزينة الارسالية هى المبلغ الذى يتبقى كفائض من خزينة مصر بعد تحصيل ايراداتها وانفاق مصروفاتها وكانت ترسل للسلطان .

(٦٣) الدمرداش : الدرة المصانة ح ٢ ص ٥٨٨ وقد حكم مصطفى باشا مصر من ١١٦٨ هـ — ١١٦٩ هـ = ١٧٥٤ م — ١٧٥٥ م .

(٦٤) الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ٨٠ ، ص ١٠٧ .

(٦٥) الدمرداش : المرجع السابق ص ٤٠ .

(٦٦) الامارة اى امراء مصر الدمرداش : المرجع السابق ص ٣٨ .

(٦٧) اعتبر شرب الدخان فى ذلك الحين عادة اجتماعية سيئة تحاربها الادارة .

الدمرداش : الدرة المصانة ح ٢ ص ٥١٢ .

(٦٨) شريفى احمر بطرة اى جنيه ذهبى عليه علامة السلطان .

(٦٩) ديوان الغورى : قاعة من اكبر قاعات القلعة وكانت فى العادة مقرا لجلسات الديوان العالى وتستخدم اثناء الاحتفالات الهامة .

(٧٠) زعيم مصر ويشار اليه احيانا باسم والى مصر وهو موظف ادارى اسندت اليه مهمات بوليسية لرعاية الأمن والنظام فى مدينة القاهرة.

(٧١) الدمرداش : الدرة المصانة ح ١ ص ٤٢ .

(٧٢) الدمرداش : المرجع السابق ح ١ ص ١٠٧ ، ح ٢ ص ٤٧٩ .